تصدير

يوفر هذا الكتاب صورة بانورامية لشتى الأوضاع الفلسطينية الراهنة ؛ الاقتصادية ، والطبقية ، والسياسية ، والثقافية ، والنقابية ، والمقاوِمة ، بما يسلح المناضل الوطني وصانع القرار السياسي الفلسطيني ، بقراءة صحيحة لواقعنا ، يوفر لنا الوضوح الفكري السياسي ، الضروري لبرنامج سياسي سليم ، يصدر عن تلك القراءة ، ولا يصدر عن تقدير ذاتي .

لقد أتى حين من الدهر كانت معظم أحزابنا السياسية وفصائلنا المقاتلة العربية تنقل ـ نقل مسطرة ـ عن برامج أحزاب أخرى ، سبق أن أحرزت النصر في معاركها ، الوطنية أو الطبقية ؛ بدءًا من الحزب البلشفي ، إلى الحزب الشيوعي الصيني ، وحزب العمل الفيتنامي ، دون أن يرف لأي من أحزابنا وفصائلنا تلك جفن . والأنكى حين كان بعض تلك الأحزاب والفصائل يدير الظهر لما يُصدره من برامج سياسية . ناهيك عمن لا يولي موضوع إصدار البرنامج أدنى اهتمام ، حتى لا تحاسب قواعد الحزب أو الفصيل قيادتها ، عندما تنحرف عن البرنامج المعنى ، وبذا تريح القيادة المعنية نفسها من وجع الدماغ .

إلى ذلك هذا الكتاب ضروري لكل مهتم بالقضية الفلسطينية ، ذلك أن الوعي بهذه القضية أمر ملح لمن يريد التعامل معها ؛ فالجهل ضمان أكيد للهزيمة ، تمامًا كما أن التمكن من الواقع يؤهل لبلورة برنامج سياسي سليم ، بما يوفر أحد أهم شروط النصر . حيث يحدد الرفاق الصينيين خمسة شروط للنصر ، هي: القضية العادلة ؛

والحزب المحكم ، المؤهل لتقديم قيادة جسورة، محنكة ، متمكنة من نظرية الثورة ، وقادرة على قراءة واقعها ، قراءة صحيحة ، بما يؤهلها لبلورة برنامج سياسي سليم ، وممارسة تكتيكات صائبة ، ونسج تحالفات ، محلية وإقليمية ودولية ، صحيحة. ويمكننا أن نضيف ـ دون خشية من شطط ـ الديمقراطية ، أولاً وأخيرًا .

نحن في مرحلة أُهدر فيها الفكر والنظرية ، وساد شغل «أولاً بأول» ، و«كيفما اتفق» ، والباقي على الله ! لذا لا يجب استهجان تكيُّف بعضنا سلبًا مع التدهور الدولي والعربي ، والالتحاق بالنظام الدولي الجديد ، بعد سقوط «المعسكر الاشتراكي» وانفراط عقد الاتحاد السوفييتي ، قبل نحو عقدين من السنين .

كل ما أتمناه أن يقرأ «القادة» الفلسطينيون هذا الكتاب ، فالثقافة السمعية لا تكفي لقيادة نضال شعب ، صاحب قضية ، لها كل تعقيدات القضية الفلسطينية. فقد ولى عهد الارتجال في الكفاح الوطني منذ عقود.

عبد القادر ياسين

القاهرة في ٨/ ١١/ ٢٠١٠م

تقديم

أبو جمال والبديل اليساري فلسطينيًا وعربيًا

عبد العال الباقوري

بداية ، بين أيدينا عمل يُسعد قارئه ، ويُهمنا ونُهنئ به كاتبه الأستاذ غازي الصوراني، الذي يقدم كتابًا لا يكفي أن يقال إنه يسد فراغًا ، بل يمثل إضافة كبيرة إلى المكتبة اليسارية عن فلسطين . والحديث عن المكتبة اليسارية الفلسطينية يعني أن مثل هذه الكتابات لا تتوفر إلا على أيدي اليساريين ، بأوسع معنى لليسار، دون أي إجحاف بإسهامات غير اليساريين ، وكتاباتهم ـ العميقة أيضًا، عن فلسطين ، ويكفي أن مثل هذا العمل هو بطبيعته ، عمل جماعي ، أي يقوم على كتابته فريق عمل متكامل ، وحين يعكف كاتب واحد على أداء هذه المهمة ، فإن عطاءه جدير ليس بالإعجاب والتقدير فقط ، بل والحماس له ليس بقراءته فقط ، حتى لو كانت عميقة ـ بل بالحوار معه ، من خلال العمل على طرح القضايا التي تناولها على نطاق جماهيري ، بحيث ينتقل هذا العمل من حيز الكتابة إلى بلورة برنامج عمل وطني فلسطيني ، وقومي عربي ، برنامج عمل يغطي مرحلة تاريخية طويلة .

لقد قرأت هذا الكتاب على ثلاث مراحل : قرأت أجزاء منه ، تكرم الأستاذ الصوراني فأتحفني بها عبر «الإنترنت» ، ثم قرأت أجزاء أخرى ، حين تلقيت العمل كاملاً على «الإنترنت» ، فلما كلَّ البصر ، تلقيت من صديق العمل الأستاذ عبد القادر ياسين نسخة ورقية استعجلني في قراءتها ، وفي كتابة هذه الكلمات .

وهكذا اعتكفت يومين كاملين ، عكفت فيهما على قراءة فصول لم أقرأها ، وفي مراجعة إحصاءات ، ومقارنتها ، ثم عدت لأبحث عن نقاط تمنيت لو أضيفت ، أو تم التوسع في الحديث عنها. بمعنى أني لن أقف ـ اليوم وهنا ـ عند العمل الذي بين أيدينا ، بل سأبدأ منه لأتجاوزه ، بما يكمله بالمنهج نفسه، والعمق ذاته ، اللذين تناول بهما الأستاذ غازي الصوراني الموضوعات والقضايا التي تناولها ، وهي عديدة ، بحيث يصعب الخوض فيها ، وإلا طالت المقدمة ، أكثر مما يجب ، خاصة وأن «المشهد الفلسطيني الراهن» تخطى ما هو راهن وواقع في هذه اللحظة التاريخية، التي تجتازها القضية الفلسطينية، ليطرح رؤية متكاملة لبديل يساري فلسطيني وعربي . وهذه رؤية فليتنافس فيها المتنافسون ، وليتناقش فيها المتناقشون ، اليوم ، بل الآن وفورًا ، من أجل هدف محدد وواضح : وحدة قوى اليسار ، فلسطينيًا وعربيًا ، حيث الوحدة لا تعني هنا «الاندماج» بل «وحدة العمل» حول قضايا مشتركة . وقد كان رأي المرء ، ولا يزال أن وحدة القوى اليسارية الفلسطينية هي المقدمة لوحدة قوى اليسار العربي ، لأسباب عديدة ، في مقدمتها ، وعلى رأسها أن فلسطين ليست فقط جوهر الصراع العربي ـ الصهيوني ، بل هي «القلب» في الحدث العربي ، منذ ١٩٤٨ وإلى اليوم والغد .

وهنا قد تتباين الرؤى ، وتتعدد حول دور «الحزب الماركسي» ، ومكانه ومكانته في اتحاد يساري واسع ، بل «فضفاض» ، وضع الأستاذ غازي الصوراني ، في الفصل الأول كثيرًا من نقاط برنامج عمله ، فلسطينيًا وعربيًا، إن هذه قضية أثيرت طويلاً ، وكتب حولها الكثير ، فهل يكون «المشهد الفلسطيني الراهن» صيحة تنقل القضية من حيز الكلام إلى أرض العمل؟ إن هذا ما عناه الأمر ، هو تيسير فيما سبق إلى الحاجة لطرح القضايا التي تناولها صاحب «المشهد» ، للحوار على نطاق جماهيري واسع . لقد آن أوان ذلك . الآن ، الآن ، وليس غدًا . وهذا خير تكريم

لهذا الجهد «الفردي» الذي تنوء بأدائه عصبة ذات قوة.

هذه هي القضية الأساسية في هذا العمل، وصفحات الكتاب جميعها عبارة عن «مذكرة تفسيرية» بلغة أهل القانون، لهذه القضية، من واقع الحياة الفلسطينية الملموسة في الاقتصاد والصحة والتعليم، والثقافة (كل جزء من هذه الأجزاء كتاب قائم بذاته).

تبقى بعد ذلك عدة ملاحظات سريعة، قد تنتظر طبعة ثانية من هذا العمل الموسوعي لاستكمالها، خاصة بعد أن يحظى بما يستحقه من نقاش وحوار.

صحيح أن الكتاب حول «المشهد الفلسطيني»، ولكن هذا المشهد له جانبه الآخر النقيض، وهو «المشهد الإسرائيلي» أي الدولة الصهيونية، التي عبَّر عنها الأستاذ الصوراني بشكل دقيق، بأنها «مركز ثقل الوجود الإمبريالي في الوطن العربي»، هذا المركز يحتاج إلى إلقاء نظرة طائر سريعة، خاصة وأن المشهد الفلسطيني يجري الحديث عنه، عبر ٦٢ عامًا، أي منذ النكبة، فماذا حدث ويحدث في الكيان الصهيوني، خلال ذلك وإلى اليوم. إن هناك «فراغًا» في الرؤية اليسارية العربية للكيان الصهيوني، في وضعه الراهن، وهذا الفراغ لا يمكن أن يسد هنا، بل تجب الإشارة إليه.. إلى «المشهد الإسرائيلي»، وليس إلى الفراغ، بالطبع.

جانب آخر كان يستحق وقفة أعمق هو جانب «المخيم» والمنفى، وماذا حدث في كل منهما، خاصة في سنوات التسوية، والحل، والسلام، الذي لم يأت.. المخيم والمنفى وجهان لقضية اللجوء. وأي حل وأية تسوية لا تستطيع أن تتخطاهما، ولا أن تبتعد عنهما، مثلاً، عند الحديث عن «الكومبرادورية» والبرجوازية الكبيرة، أين تقع «برجوازية المنفى الكبيرة»؟! بل والمعولمة في هذه الخريطة؟! ما دورها في مشروعات التسوية البائسة.. وما دورها فيما هو آت؟!

جانب ثالث ، وهو أن الأستاذ الصوراني تناول في سطوره أو فقرات هنا أو هناك ، في هذا الفصل أو ذاك ، الحديث عما يمكن أن نسميه «الشخصية الفلسطينية» ، وقد أحسست كقارئ بعيد نسبيًا عن بؤرة الحدث الفلسطيني في الضفة والقطاع والقدس ، وفي المنفى ، أن هذه قضية تستحق وقفة أطول ، وتغطية أوسع. وفي ظني أن الحديث عن «الشخصية الفلسطينية» يمكن أن ينقل هذا العمل المهم من التعميم في أجزاء مهمة إلى التشخيص ، ولا بأس ـ في ظني ـ من الشخصنة، التي تبين ـ على سبيل المثال ـ ما تعرض له المثقف الفلسطيني من تحول، خلال سنوات أوسلو، أي منذ ١٩٩٣، وكيف انتقل كثيرون أو قليلون من معسكر القتال والمقاومة إلى معسكر الاستسلام والتسوية .. في الكتاب فقرات نابضة بالحياة والحيوية ، في هذا الشأن ، وكل ما يحتاج إليه هذا التوسع والبلورة .

وبعد هذا وقبله ، يبقى العطاء ، وهو وفير وغزير .. ومن أجله يستحق هذا العمل القراءة والمنافسة ، ويستحق الأستاذ الصوراني جزيل الشكر والامتنان ، وانتظار عمل جديد يسعدني ـ كعربي من مصر ـ أن يصدر من القاهرة ، أيضًا .

مدينة نصر

في ٢١/ ١١/ ٢٠١٠م